﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣﴾ [الأعراف: 173]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

قطعُ الحُجَّةِ في نقضِ الميثاقِ بسببِ تقليدِ الآباءِ بعد تفنيدِ حُجَّتِهم الباطلةِ

لمَّا ذَكَّر اللّه تعالى عبادَهُ بما أخذ على جميع المكلَّفين من الميثاقِ، والاحتجاجِ عليهم، لئلَّا يقول الكفَّار: إنَّا كُنَّا عن هذا الميثاق غافلين، لم نحفظْهُ، ولم نَذْكُرْهُ؛ قَطَعَ عُذرَهم بقوله: ﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ﴾، فلا يستطيعُ أحدٌ من الذُّرِّيَّة الكافرةِ أن يقولَ يومَ القيامة: إنَّما أشركَ آباؤنا من قبلنا، ونقضوا العهدَ، ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ فاقتدينا بهم[1]، فقد قطعَ اللّهُ حجَّتَهم الثَّانية، بعد قطعِ حُجَّتِهم الأولى، ليزولَ اعتذارُهم بمثل هذه الأعذارِ الواهيةِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا﴾: تُعاقبُنا بالإهلاكِ، يقال: هَلَكَ يهلك هُلْكًا وهَلْكًا وهَلاكًا، فَهُوَ هَالكٌ، وأهلكه اللّهُ إهلاكًا[3]، ويطلقُ الهلاكُ على افْتِقادِ الشَّيء، واستحالَتِه وفسادِه، وعلى المَوْتِ، ومنه يُقالُ لِلْعَذابِ والخَوْفِ والفقْرِ هلاكٌ[4]، وأصلُ هَلَكَ يدلُّ على كَسْرٍ وَسُقُوطٍ[5]، "وهلكوا مهلكًا واحدًا، وفلانٌ هالكٌ في الهوالكِ، واهتلك فلانٌ: ألقى نفسه في التَّهلكة[6]، قال اليزيديُّ: التَّهلكة من نوادرِ المصادرِ، ليست ممَّا يجري على القياس، وأهلكه غيرُهُ

(1) الواحدي، التَّفسير الوسيط: 426/2.
(2) الزُّحيلي، التَّفسير الوسيط: 750/1.
(3) ابن دريد الأزدي، جمهرة اللُّغة: (هلك).
(4) الفيروزابادي، بصائر ذوي التَّمييز: 338/5.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: 62/6.
(6) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (هلك).

واستهلَكَهُ، والمَهْلكةُ والمُهلكةُ: المفازةُ[1]، والمعنى في الآية هنا: أفتعذِّبُنا بجنايةِ آبائنا المبطلين[2]؟

2) ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: الآخذونَ بالباطِلِ، والبَاطِلُ: نقيضُ الحقِّ، يقال: بَطَلَ الشَّيءُ يَبطُلُ بُطْلًا: ذهب باطلًا[3]، ذَهَبَ ضَياعًا وخُسْرًا[4]، وأصلُ (بطل): ذهابُ الشَّيءِ، وقلَّةُ مُكثِه ولُبثِه[5]، فالباطلُ: الشَّيءُ الزَّائل، وما لا ثباتَ له عند الفَحصِ عنه[6]، والمبطلُ من يقولُ شيئًا لا حقيقةَ له[7]، والمعنى هُنا: الذين أبطلوا في دعواهم إلهًا غير اللّه[8]، وفي لسان العربِ المبطلونَ هم الكافرونَ، والمعنى: "تبيَّن لهم خسرانُهم، لما رأوا العذابَ، وإلَّا فهم كانوا خاسرينَ في كلِّ وقتٍ، والتَّخسيرُ: الإهلاكُ، والخناسير: الهلَّاكُ، ولا واحدَ له[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ مَغبَّةِ تقليدِ الآباءِ المبطلينَ؛ لكونِ الفطرةِ تنادي بالإيمانِ المبينِ

المعنى: أُخِذَ عليكم الإقرارُ، وأنتم ذرِّيَّةٌ ليتبيَّن أنَّ فطرتَكم تناديكم بالإيمان، فلا تعتذروا بأنَّ آباءكم كانوا مشركين، وأنتم اتَّبعتموهم، فإنْ أُوخذتم، فإنَّما تُؤاخذون بشركِهم، ولكن أُخِذَ عليكم من قبلهم بالإيمان، فأنتم مسؤولونَ عن عهدِكم الَّذي عاهدْتُم اللّه تعالى عليه أوَّلًا، لَا عن تقليدِكم لآبائِكُم، وإنَّه لَا يصحُّ هذا التَّقليدُ، وفيكم فطرةُ الإيمان[10].

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (هلك).
(2) البغوي، تفسير البغوي: 248/2، والعليمي، فتح الرَّحمن في تفسير القرآن: 59/3.
(3) الخليل، العين، باب: (الطَّاء واللَّام والباء).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (بطل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: 258/1.
(6) الرّاغب، المفردات، والسَّمين الحلبي، عُمدة الحفَّاظ: (بطل).
(7) السَّمين الحلبي، عُمدة الحفَّاظ: (بطل).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 565/10.
(9) ابن منظور، لسان العرب: (بطل).
(10) محمّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3005/6، ويُنظر: لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآن الكريم، ص: 234، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 173، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المُخْتَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 173.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ تقديمِ الاعتذارِ بالغفلةِ على الاعتذارِ بتقليدِ الآباءِ:

تقديمُ إبطالِ المؤثِّرِ الدَّاخليِّ على المُؤَثَّرِ الخارجيِّ

وعُطِفَ عليهِ الاعتذارُ بالغفلةِ، بأن يقولوا: إنَّنا اتَّبعنا آباءنا، فاقتدينا بهم، وما ظننَّا الإشراكَ إلَّا حقًّا، فلمَّا كانَ في أصلِ الفطرةِ العلم بوحدانيَّةِ اللهِ بطل الاعتذارُ بالغفلةِ وبالجهل به، وكان الإشراكُ إمَّا عن عمدٍ وإمَّا عن تقصيرٍ، وكلاهما لا ينهضُ عُذرًا[1]؛ لأنَّ نصبَ الأدلَّةِ على التَّوحيد - وما نُبِّهوا عليه - قائمٌ معهم، فلا عذرَ لهم في الإعراضِ عنه، والإقبالِ على التَّقليد والاقتداءِ بالآباءِ؛ كما لا عذرَ لآبائهم في الشِّرْك، وأدلَّةُ التَّوحيد منصوبةٌ لهم[2]، كما أنَّ الغفلةَ قد لا يسبقها كفرٌ أو معصيةٌ، ويقلِّدُها النَّاس الَّذين يأتون من بعد ذلك، والمثال الواضح أنَّ سيِّدنا آدمَ ﷺ قد أبلغَ أولادَهُ المنهجَ السَّويَّ المستقيمَ، لكنَّهم غفلوا عنه، ولم يعد من اللَّائقِ أن يقولَ واحدٌ منهم: إنَّ أباهُ قد أشركَ، ولكن جاءَ هذا الأمرُ من الغفلة، ثمَّ جاءَ إشراكُ الآباءِ في المرحلة الثَّانية؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ لو قلَّد أباهُ في الإشراكِ؛ لانتهى الشِّركُ إلى آدمَ، وآدمُ لم يكن مشركًا، لكنَّ الغفلةَ عن منهجِ اللهِ المستقيمِ حدثت من بعضِ بني آدمَ[3].

دلالةُ ﴿أَوۡ﴾ في: ﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ﴾:

إفادةُ منعِ الخلوِّ دونَ منعِ الجمعِ بخطابِ اليهودِ والمُشركين جميعًا

﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ﴾ عُطِفَ فعلُ القول على نظيره ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾[4]، و(أو) لمنع الخُلوِّ، أي: خُلُوُّ أحدِ القولين منهم دونَ منعِ الجمع، فقد يعتذرونَ بمجموعِ الأمرين، وهو أيضًا مفعولٌ لهُ لما قبلَهُ من الأخذِ والإشهادِ بالمعنى المذكور[5]، وقد قيل: إنَّ العطفَ هُنا إنَّما يصلحُ

(1) التّحرير والتّنوير: 170/9.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 177/2.
(3) تفسير الشّعراويّ: 4450/7.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 41/3.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 290/3، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 544/8.

لخطابِ المشركين دونَ بني إسرائيلَ، والدَّليلُ على ذلك قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾، وقيلَ بصلاحيَّة الخطابِ لليهود، والدَّليلُ على أنَّها في اليهود: الآياتُ الَّتي عُطِفَتْ عليها هي والَّتي عُطفت عليها، وهي على نمطِها وأسلوبِها، وذلك قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: 163]، ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ﴾ [الأعراف: 164]، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ [الأعراف: 167]، ﴿۞وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا﴾[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بأسلوبِ القصرِ في: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾:

قَصْرُ تأسيسِ الشِّركِ على الآباءِ مُبالغةٌ في التَّخلُّصِ من التُّهمةِ

قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾، أي: مِن قبلنا، ونقضوا العهدَ والميثاقَ، وكُنَّا نحن الذُّريَّة من بعدهم فقلَّدناهم، واقتدينا بهم، وكُنَّا في غفلةٍ عن هذا الميثاقِ، فلا ذنبَ لنا[2]، فقد خرجنا إلى هذا الوجود، فوجدنا آباءَنا قد أشركوا، فلم يكن أمامَنا خيارٌ، ولا كان وسيلةٌ لمعرفة التَّوحيدِ، ولا لتشرُّبِهِ والاطِّلاع على محاسنه، إنَّما ضَلَّ آباؤنا، فضلَلْنا على إثرِهم، واتَّبعْنا سبيلَهم في الغوايةِ، فهم المسْؤُولونَ وحدَهم، وليس لنا أيُّ مسؤوليَّةٍ، ولا علينا تبعةٌ في هذا المضمارِ، فكانَ لهم السَّبقُ المانعُ من تأثيرِ اللَّاحقِ، فقصروا صفةَ تأسيسِ الإشراكِ، على موصوفٍ - وهم الآباء - قصرًا ادِّعائيًّا مُبالغةً في الاعتذارِ والتَّنصُّلِ من التُّهمةِ[3].

سِرُّ اصطفاءِ أداةِ القصرِ ﴿إِنَّمَآ﴾ على النَّفي والاستثناءِ:

إفادةُ نفيِ ابتداءِ الشِّركِ وتأسيسِهِ، لا نفيِ وقوعِهِ منهم مُطلقًا

جاء القصرُ هُنا بلفظِ ﴿إِنَّمَآ﴾، دونَ النَّفي والاستثناء؛ لأنَّ النَّفيَ والاستثناءَ ينفي عنهم الشِّركَ مُطلقًا، والأبناءُ وقعوا في الشِّرك حقيقةً، وشاركوا آباءهم في الوقوعِ فيه، فهم لم ينفوا وقوعهم في

(1) أبو حيّان الأندلسيّ، البحر المحيط: 219/5.
(2) الخازن، لباب التّأويل في معاني التّنزيل: 269/2.
(3) الإيجيّ، جامع البيان في تفسير القرآن: 669/1، وأبو حيّان، النّهر المادّ من البحر المحيط: 886/1، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 209/10.

الشِّرك مُطلَقًا، بل أخبروا أنَّهم تَبَعٌ لآبائِهم في شركهم، فاختيرَ القصرُ بلفظ (إنَّما)؛ لأنَّها تختصُّ بقصرِ القلب؛ لأنَّهم أرادوا نفيَ التُّهمةِ عن أنفسِهم، بأنَّ إشراكَهم وقع تبعًا لإشراكِ غيرِهم، وليس أصالةً، فكأنَّهم قالوا: إنَّ آباءنا أشركوا من قبلِنا، ونحن خَلفٌ لهم، نجهلُ بطلانَ شركِهم، وقد قلَّدناهم في أعمالِهم واعتقادِهم، مع حسنِ الظِّنِّ بهم، ولم نهتدِ إلى التَّوحيد، فكان الذَّنبُ لأسلافِنا، فكيف تُعذِّبنا على هذا الشِّرك، مع أنَّا حينئذٍ لم نكن من أصحاب الرَّأي والتَّمييز[1]؟

وتُستخدمُ (إنَّما) فيما لا يجهلُهُ المخاطبُ، ولاينكرُهُ، على العكس من النَّفي والاستثناءِ؛ إذ هو فيما ينكرُهُ المخاطبُ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالظَّرفِ:

بيانُ تباعدِ الزَّمنِ الَّـذي وقـعَ فيهِ الـشِّـركُ عـن زمنِهِم

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبْلَ أن نوجد[2]، فقد اخترعوا الإشراكَ، وسنُّوهُ من قبلِ زماننا[3]، ونحن خلفٌ لهم، والمعنى: وَرِثنا عنهم عقائدَهُم بتأثيرِ البيئة، وسلطانِ مواريثها، وكان ذلك من قبلُ عندما أشركَ آباؤنا، ولم نكن من أهلِ التَّكليفِ آنئذٍ، والظَّرفُ لم يكن يعطينا خَيارًا آخر، وهي حجَّةٌ واهيَةٌ، للتَّهرُّبِ من مسؤوليَّةِ التَّلبُّس بما نُهوا عنه، ونُهي عنه سابقوهم، وكان نهيُهم عنه مع وجودِ وسائلِ الإدراك عندهم، وقدرتهم على التَّمييزِ بين ما يصحُّ، وما لا يصحُّ، فغلبت عليهم شقوتُهم، وكان ما كان.

دلالةُ الإيجازِ في قولِهِ: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾:

إقامةُ التَّعليلِ موقعَ المُعَلَّلِ في الآيةِ الكريمةِ

قولُهم: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾، أي: كُنَّا على دينِهم تبعًا لهم؛

(1) حسن بن محمد نظام الأعرج، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 345/3، ووهبة الزّحيليّ، التّفسير المنير: 157/9.

(2) الشّربينيّ، السّراج المنير: 613/1.

(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 105/9، وإسماعيل حقّي البروسويّ، تفسير روح البيان: 273/3، وجمال الدّين القاسميّ، محاسن التّأويل: 218/5.

لأنَّنا ذُرِّيَّةٌ لهم لا نهتدي إلى السَّبيل، ولا نقدرُ على الاستدلالِ بالدَّليل[1]، وشأنُ الذُّرِّيَّةِ الاقتداءُ بالآباءِ، وإقامةُ عوائدهم، فوقع إيجازٌ في الكلامِ، وأقيمَ التَّعليلُ مقامَ المُعَلَّلِ[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالماضي (كنّا):

بيانُ اعتقادِهم أنَّ كونَهم ذرِّيَّةً لمشركينَ يرفعُ عنهم التَّبعةَ واللَّومَ

في قولِه: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ عبَّروا في الاعتذارِ بوقوعِ الشِّركِ منهم، بكونِهم (كانوا) ذرِّيَّةً لآباءٍ مشركين، اعتقادًا منهم بأنَّ هذا الوقوعَ الكائنَ في الزَّمنِ الماضي السَّابق، لاعتذارِهم يصلحُ أن يكونَ عذرًا، فيُجاب عليهم بأنَّ هذا العُذرَ أيضًا غيرُ مقبولٍ منكم، فلا يَحمِلُ عنكم تبعةَ شركِكم باللهِ، شِركُ آبائِكم من قبلكم؛ إذ كنتم ومعكم فطرتُكم، وكنتم ومعكم عقولُكم، ثُمَّ كنتم ومعكم دعوةُ الرُّسلِ الَّذين يدعونكم إلى اللهِ[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بالظَّرفِ:

بيانُ توهُّمِهم أنَّ شركَهم كانَ بالوراثةِ، وهم لا عذرَ لهم فيهِ

الظَّرفيَّةُ في ﴿بَعۡدِهِمۡۖ﴾، فيها ما يُوهمُ أنَّ شِرْكَهُم كان بالوراثةِ، وأنَّهم لهم تبعٌ، فكما ورَّثوهم في أجسامِهم ونسبهم، فقد ورَّثوهم في اعتقادِهم[4]، و﴿مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ نعتٌ لذُرِّيَّةٍ لما تُؤذنُ به ذرِّيَّةٌ من الخلفيَّةِ والقيام في مَقامِهم[5].

بديعُ الطِّباقِ بينَ ما ذُكرَ في جانبِ آبائِهم، وما ذُكرَ في جانبِهم:

إيضاحُ الصُّورةِ البديعةِ المُقارنَةِ بين شِرْكِ الآباءِ وتقليدِ الأبناءِ

أعطى الطِّباقَ بين لفظتَي (قبل) و(بعد) صورةً بديعةً لِتلكَ المُقارنةِ بين شركِ الآباءِ وتقليدِ الأبناء، فأولئك ابتدعوهُ، وأسَّسوهُ، وهؤلاء اتَّبعوهُ، ومارسوهُ، فهم شركاءُ في الإثمِ، وكلٌّ مؤاخذٌ لا محالةَ عن ضلالِه، ولا يُعذرُ طرفٌ بإلقاءِ التَّبعةِ واللَّومِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 290/3.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 170/9.
(3) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقران: 516/5.
(4) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3005/6.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 170/9.

على الطَّرف الآخرِ، وهو السِّرُّ في وجودِ الطِّباق (القبل والبعد)، لتوافرِ الحالينِ في الآيةِ.

فائدةُ الإضافةِ إلى الضَّمير العائدِ على آبائهم ﴿بَعۡدِهِمۡۖ﴾:

نسبوا أنفسَهم لآبائِهم ابتداءً، فقال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾، فلم نعرفْ لنا مربِّيًا غيرَهم، فلا ريبَ أن يُضيفوا أفعالَهُم إليهم تبعيَّةً وانتهاءً، ﴿مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾، أي: فكنَّا لهم تبعًا، فشغلنا اتِّباعهم عن النَّظرِ، ولم يأتِنا رسولٌ مُنَبِّهٌ[1].

إضافةُ أفعالِهم إلى الآبـاءِ، لكونِهم تبعًا لهم في الانتسابِ والاقتداءِ

علاقةُ جملةِ الاستفهامِ ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا﴾ بما قبلَها:

الفاءُ في ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا﴾ لترتيبِ ما بعدَها على ما قبلَها، وهيَ مُؤخَّرةٌ عن تقديمٍ؛ لأنَّ الاستفهامَ له الصَّدارةُ، وهم يُنكرون مُؤاخذتَهم، وإنَّما المؤاخذةُ على من سبقوهم، فاللهُ تعالى بمقتضى سياق الآياتِ الكريمةِ، يبيِّنُ أنَّهم مَسؤولونَ ومؤاخذونَ، وهم يقولونَ: إنَّا تبعٌ لمن سبقونا، ولا نؤاخذُ بفعلِهم، وقد سِرْنا مسارَهُم، فاللهُ سبحانه يُبَيِّنُ لهم أنَّهم مُؤاخذونَ بمقتضى الفطرةِ[2].

ترتيبُ هذه الجملةِ على ما قبلَها، لِتَعَلُّقِها بها لفظًا ومعنًى

بلاغةُ الاستفهامِ في: ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا﴾:

الاستفهامُ هُنا للاستعطافِ، وفيه معنى الإنكارِ[3]، أي: أنت - يا ربَّنا - حكيمٌ وعادلٌ، فهل تؤاخذُنا بما فعلَ آباؤنا من الشِّركِ، وما أسَّسوا من الباطلِ، أو بفعلِ آبائنا الذين أبطلوا تأثير العقول وأقوال الرُّسل؟ إنَّك - يا ربَّنا - قد وعدتَ أنَّك لا تأخذُ الأبناءَ بفعل الآباءِ، ونحن قد سَلَكْنا طريقَهم، والحجَّةُ عليهم بما شرعوا لنا من الباطلِ، فكيف تؤاخذُنا؟ والجواب على ذلك: أنَّ الإقرارَ بالرُّبوبيَّةِ والتَّوحيد هو في أصل فطرتِكم، فلِمَ لم ترجعوا إليه عندما دعاكم رسولنا الكريم

بيانُ استعطافِهم وطلبِهم النَّجاةَ، تخلُّصًا من التَّبعةِ

(1) الشّربينيّ، السّراج المنير: 613/1.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3005/6.
(3) الهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 209/10.

إلى وحدانيَّةِ اللهِ، ونبذ الشُّركاءِ، فإنَّ انقيادَكم للآباءِ بعد أن وهبَكم اللهُ العقولَ المفكِّرة، وأرسلَ إليكم الرُّسلَ المبشِّرة والمنذرةَ، لن يعفيَكم من المسؤوليَّةِ، ولن ينقذَكم من العذابِ يومَ الحسابِ[1].

إيثارُ التَّعبيرِ بالإهلاكِ مكانَ العذابِ:

الإهلاكُ هُنا مُستعارٌ للعذابِ[2]؛ لأنَّ الإهلاكَ والجزاءَ على الإشراكِ في ذلك اليوم يكون بالعذابِ وشدَّته، أي: أفتجعلُ عذابَنا كعذابِهم، مع عُذرِنا بتحسينِ الظَّنِّ بِهِم؟[3].

الإهلاكُ والجزاءُ عن الإشراكِ، يكونُ بالعذابِ الأليمِ في ذلك اليومِ

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾:

قولُهُ: ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾، أي: بالإشراكِ الَّذي أسَّسه لنا، واخترعه آباؤنا الملتبِسون بالباطلِ، الَّذي هو الإشراكُ[4]، والَّذين أبطلوا العهدَ والميثاقَ السَّابقَ في دعواهم إلهًا غير اللهِ[5]، والَّذين أبطلوا تأثيرَ العقولِ وأقوالَ الرُّسلِ[6]، فالمبطلونَ الآخذون بالباطل، وهو يشملُ الإشراكَ وإبطالَ العقولِ ودعوةَ الرَّسولِ[7]، فمعنى الإبطالِ أوسعُ وأشملُ من الإشراكِ، لذلك اختيرَ التَّعبيرُ به في هذا المقامِ.

اشتمالُ الإبطالِ على معاني نقضِ الميثاقِ، بالإشراكِ ونبذِ الرِّسالات

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإهلاك والعذاب:

الهلاكُ في اللُّغة يُطلق على عدَّة معانٍ: كالموتِ والخسران، والضَّلال والفسادِ والعذاب[8]، وهو عامٌّ يستعملُ في الإنسانِ وغير الإنسانِ، وفي الأموالِ، وفي كلِّ شيءٍ، فهلاكُ المالِ إفناؤه، كما في قولِه تعالى: ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦﴾ [البلد: 6]، وهلاكُ السُّلطانِ ذهابُهُ كقوله تعالى: ﴿هَلَكَ

العذابُ إيلامٌ ومشقَّةٌ، ويكونُ للعاقلِ؛ والإهلاكُ أعمُّ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 5: 434.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 170/9.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 105/9.
(4) الهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 209/10.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 81/9.
(6) القاسميّ، محاسن التأويل: 218/5.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 170/9.
(8) الفيروزباديّ، بصائر ذوي التّمييز: 338/5.

عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ [الحاقّة: 29]، والهلاكُ ليس بالضَّرُورة أن يكونَ عقوبةً، فقد يكون مُجرَّدَ الموتِ، كقولِه تعالى: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ [النِّساء: 167]، يعني: مات[1]، أمَّا العذابُ؛ فهو الإيجاعُ الشَّديد، والأَلَم الثَّقيل[2]، والنَّكَالُ والعُقُوبة، يُقَالُ: عَذَّبْتُه تَعْذِيبًا وعَذَابًا[3]، وعذَّبتهُ تعذيبًا: عاقبتُهُ أَو أَطلتُ حبسَهُ في العذاب؛ فكلُّ مؤلم للنَّفس يسمَّى عذابًا، واشتقاقُهُ من عذبِ الشَّيءِ؛ إذا استمرَّ وجرى، فالأَلمُ يستمرُّ في النَّفسِ، ويتغلغلُ فيها[4].

الفعل والعمل:

الفعلُ كونُ الشَّيء مُؤثِّرًا في غيره[5]، ولفظُ الفعلِ أعمُّ من معنى سائرِ أخواتِه، نحو: العملِ، والصُّنعِ، والإبداعِ، والإحداثِ، والخلقِ، والكسبِ[6]، أمَّا العملُ؛ فهو كلُّ فعلٍ صادرٍ من الحيوان بقصدٍ؛ فالعمل لا يُقال إلَّا لِما كان من الحيوان دونَ ما كان من الجمادِ، ولِما كان بقصدٍ وعلمٍ دون ما لم يكن عن قصدٍ وعلم[7]، فهو أخصُّ من الفعل[8]، والعملُ لا يُقالُ إلَّا ما كان عن فِكرٍ ورويَّة، ولهذا قُرن بالعلم، فقيل: عِلْمٌ وعَمَلٌ، حتَّى قال بعضُ الأدباء: قُلِبَ لَفْظُ العمل عن لفظ العلمِ تنبيهًا أنَّهُ من مقتضاه[9]، فالفعلُ لفظٌ عامٌّ، يُقال لما كان بإجادة وبدونها، ولِما كان بعلمٍ أو بغيرِ علمٍ، وقَصْدٍ أو غير قَصْدٍ، ولِما كان من الإنسان والحيوان والجماد[10]، والعملُ أخصُّ منه؛ فاستُخدِمَ العامُّ ليكون أشملَ في الإمالةِ والاستعطافِ.

العملُ فِعْلٌ صادرٌ من حيوانٍ بقصدٍ، والفعلُ أعمُّ منهُ

(1) ابن دريد، جمهرة اللّغة: 983/2، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 338/5.
(2) الكفوي، الكلّيات، ص: 654، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 35/4.
(3) ابن منظور، لسان العرب: 585/1.
(4) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 239.
(5) الشّريف الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 168.
(6) الشّريف الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 168.
(7) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 247، والرّاغب، المفردات، ص: 348.
(8) الرّاغب، المفردات، والسَّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: 124/3.
(9) الرّاغب، تفسير الرّاغب الأصفهاني: 119/1.
(10) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 322.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»